إجهاض الحلم الفلسطيني في إقامة الدولة

د. عبدالعاطي محمد ❖

■.. في ٣٠ ابريل ٢٠٠٣م صدرت خارطة الطريق من وزارة الخارجية الأمريكية بواشنطن. وتأمل الجانب الفلسطيني منها خيرا، وكذلك الجانب العربي، إلا أن تفسير الفلسطينيين والعرب لبنود هذه الخارطة وقف عند تصديق منطوق النصوص التي بدت مثالية إلى حد متوازن. وأما الجانب الإسرائيلي الذي رفض الخارطة في البداية ثم عاد ووافق عليها، فقد تعمد منذ اللحظة الأولى أيضا ألا يلتزم بعناصرها على أرض الواقع وألا يقدم تفسيره لهذه العناصر مصرا على المراوغة السياسية كلما وجد نفسه في موضع التساؤل بهذا الخصوص.

أما الجانب الأمريكي فقد تعامل معها بعمومية وعلى أنها مبادئ لإقامة سلام يؤدي لقيام دولتين: فلسطينية وإسرائيلية دون أن ينحاز بوضوح لتفسير قاطع لكل ما احتوت عليه الخارطة من بنود. وبعد عام إلا أيام قليلة على صدور هذه الوثيقة، انتهى الجانبان الإسرائيلي والأمريكي إلى تفسير واحد وقاطع أصاب الفلسطينيين والعرب ليس بالدهشة فقط وإنما بالصدمة أيضا بما وضع عملية المفاوضات لإقامة السلام العادل والشامل في كل منطقة في مهب الريح، إن لم يكن قد أطلق عليها رصاصة الرحمة كما قال البعض من الفلسطينيين.

التفسير الإسرائيلي ــ الأمريكي لخارطة الطريق أصبح واضحا تماما فيما يتعلق بالحل المؤقت والحل النهائي معا، فقد اتفق الجانبان على رؤى بعينها تحول الكثير منها إلى واقع حقيقي على الأرض والباقي في الطريق. وليس مستبعدا أن يشهد العام المقبل النهاية غير العادلة للقضية الفلسطينية بعد صراع طويل ودام مضى عليه حتى الآن نحو أكثر من ٥٦ عاما. فكلما كانت البداية مأساوية ومجحفة بالحق الفلسطيني، ها هي النهاية تتجه لتكون أكثر مأساوية من قبل.

انتظرت الولايات المتحدة عاما كاملا لتكشف للجميع بمن فيهم شركاؤها في صياغة خارطة الطريق وهم الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة أنها كانت من البداية تقصد التفسير الإسرائيلي وحده لهذه الخارطة وكيفية تنفيذها وأعطت لشارون ويمينه المتطرف وقتا كافيا ليدبر أمره بالكيفية التي يريدها، وعندما فرغ من تصوره هذا منحته ضمانات مكتوبة وليس فقط تصريحات سياسية تؤيد طريقته في تنفيذ هذه الخارطة التي باتت الآن خارطة طريق إسرائيلية للقضاء على القضية الفلسطينية دون رجعة، وليست خارطة أمريكية أو حتى دولية لإقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط. سيرفع الفلسطينيون والعرب أوراق خارطة الطريق عاليا، وكذلك كل ما صدر من قرارات دولية على مدى التاريخ الطويل منذ قرار التقسيم ١٨١ في عام ١٩٤٧م ليقولون إن كل هذه الأوراق تتحدث عن أشياء محددة مفيدة سياسيا للقضية الفلسطينية، وأن ما يجري من مواقف أمريكية وإسرائيلية لا علاقة له بهذه الأوراق والقرارات، ومن السهل علينا الآن أن نعرض لنماذج تؤكد ذلك وتكشف مدى الخداع الذي لحق بالطرفين الفلسطيني. ولكن كل هذا شيء وما جرى ويجري على أرض الواقع شيء آخر مخالف تماما، ليس بسبب تباين في التفسيرات لهذه النصوص، وإنما لاختلاف النيات والمقاصد أو بالأحرى لاختلاف المصالح التي تعكس في الحقيقة تباين توازنات القوى الحاكمة في كل شيء ، لقد نجح الفلسطينيون العرب في التمسك بالنصوص وبإضفاء زخم كبير على القضية من الناحية السياسية محليا وإقليميا وعالميا، ولكنهم فشلوا من حيث الرد العملي ويتحملون مسؤولية الخطأ عن إدارة الصراع عسكريا وسياسيا أيضا. بمعنى آخر نجح شارون من حيث فشل الفلسطينيون في إدارة الصراع، وها هي الولايات المتحدة تضفي المشروعية على نجاح شارون ويعيد مسؤولوها نفس المقولة التي ترددت منذ نهاية ديفيد الثانية (عن آخر عهد كلينتون) بأن الفلسطينيين عليهم أن يتحملوا ثمن وصول شارون إلى الحكم عندما لم يتعاونوا مع باراك على النحو الأفضل. لن ندخل في إطار التفسيرات التآمرية لكل ما جرى بين إسرائيل والولايات المتحدة فالذي يعرفه الجميع أن هناك علاقة استراتيجية بينهما وهناك اعتبارات لأصوات اليهود في الانتخابات الأمريكية، وإنما نتحدث عن حقائق الأحداث وكيف مضت إلى أن قادت إلى هذا التطابق الشديد في الموقفين الاسرائيلي والأمريكي الذي يعد فعلا مؤشرا على تحول تاريخي في مصير القضية الفلسطينية، للأسف ليس لصالحها ولا لصالح العرب ككل.

إن كل القضايا التي تفرعت وشتتت الأذهان على مدى العقود الستة الماضية تقريبا إنما نشأت من الخلاف الرئيسي حول قيام دولتين إحداهما إسرائيلية والأخرى فلسطينية.

في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثانية القرار رقم ١٨١ والخاص بخطة تقسيم فلسطين ونص بنده الثالث على: (تنشأ في فلسطين الدولتان المسؤلتان العربية واليهودية، والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس). وبناء على هذا القرار تم اقتطاع ما نسبته ٥٤٪ من أرض فلسطين العربية لإنشاء دولة إسرائيل رغم أن اليهود في عام ١٩٤٥م كانوا يملكون حوالي مليون ونصف المليون دونم من أرض فلسطين التي تبلغ مساحتها نحو ٢٦ مليون دونم، أي أن مساحة ما كان يملكه اليهود في أرض فلسطين كانت نحو ٦٪ فقط. وعندما وقعت الحرب وقبل العرب بالهدنة وضع الكونت برنادوت مشروع سلام، تضمن بنده الثالث: (تتولى لجنة منبثقة من الأمم المتحدة رسم الحدود بين العرب واليهود) وبنده الرابع: (تشرف لجنة دولية على حل مشكلة اللاجئين بحيث يختار اللاجئون بين العودة إلى منازلهم أو تعويضهم قيمة ما فقدوه). وآنذاك قال برنادوت: (إن حرمان اللاجئين من العودة إلى ديارهم سيكون خرقا لأبسط مبادئ العدالة خصوصا في الوقت الذي يتدفق فيه اليهود على فلسطين). وعندما اغتال اليهود برنادوت وهو في القدس يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨م وخرقوا اتفاق الهدنة (عصابة شتيرن) واجتاحوا النقب واحتلوا معظم القرى العربية في الجليل، عينت الأمم المتحدة يوم ٤ نوفمبر ١٩٤٨م رالف بانشي خلفا له، وصدر بعد ذلك قرار من الجمعية العامة في ديسمبر ١٩٤٨م تضمن بنده الثالث: (يسمح لمن يرغب من اللاجئين بالعودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، أما الذين لا يرغبون في العودة فتدفع لهم تعويضات بمقتضى القوانين الدولية، وتدفع كذلك تعويضات إلى من أصابهم الضرر في ممتلكاتهم). ثم عقدت اتفاقية رودس في ٣ إبريل ١٩٤٩م التي كان من النتائج التي ترتبت عليها ضم نحو نصف مليون لاجئ فلسطيني إلى الأردن وتوحيد الضفتين (ألغى الملك حسين ذلك في الثمانينات). وبعد حرب ١٩٦٧م فإن القرار الشهير رقم ٢٤٢ لمجلس الأمن والصادر في ٢٢ من نوفمبر من ذلك العام، فقد تضمن (سحب القوات الإسرائيلية المسلحة من أراض احتلت في النزاع الأخير) (وفقا للنص الإنجليزي، أو الأراضي وفقا للنص الفرنسي)، وكذلك تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

حق العودة هنا، وكذلك مسألة الحدود ومن بعد مشكلة المستوطنات، تتعلق جميعها جوهريا بالمقصود من إقامة الدولتين الإسرائيلية والفلسطينية. فمن الواضح منذ بداية الصراع أن هناك تأكيدا دوليا على إقامة دولة يهودية إسرائيلية وأخرى عربية فلسطينية، ولم يعترض الفلسطينيون ولا العرب ــ وفقا لحكم الواقع ـ على أن تكون هناك دولة يهودية، ولكن المشكلة التي احتدمت منذ ذلك الوقت هي في حدود هذه الدولة اليهودية وفي وضع القدس، وقيام الدولة اليهودية يعني رفض حق العودة للفلسطينيين الذين شردوا منذ عام ١٩٤٨م حيث ان عودتهم تعني بالطبع تحول إسرائيل من دولة يهودية إلى دولة عربية نظرا لأن عددهم الآن يقرب من ٤ ملايين فلسطيني يعيشون في مخيمات اللجوء في الدول المجاورة أو في مختلف دول العالم: وخلال هذه الاشكالية فقد كان مطروحا إلى ما قبل قيام الرئيس الأمريكي جورج بوش بإلغاء حق العودة خلال لقائه أخيرا مع شارون في واشنطن، ان تتم عملية مساومة أو تنازل متبادل بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، الأول يقبل بالتخلي عن حق العودة إلى داخل إسرائيل في حدود ١٩٤٨م مع السماح بعودة مئات الآلاف من اللاجئين إلى هناك، مقابل ان تعترف إسرائيل صراحة بقيام دولة فلسطينية على جميع الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م وان تكون القدس عاصمة لها وتقبل الدولة الفلسطينية الناشئة باستيعاب بقية من يرغب من الفلسطينيين على أراضيها خاصة ان معظم اللاجئين لا يفضلون العودة لإسرائيل وإنما إلى دولة فلسطينية خالصة مستقلة. هنا تنازل فلسطيني محدود وواضح من زاويتين هما القبول بعودة عدد قليل من اللاجئين إلى داخل إسرائيل وليس كلهم، وإقامة الدولة على الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م أي القبول بعدم العودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧م وكان هذا تصورا أقرب إلى الواقعية والتطبيق والإنسانية أيضا ومتمشيا مع القوانين والقرارات الدولية ذات الصلة. وكانت الإدارة الأمريكية في عهد كلينتون متحمسة لهذا التصور.

ووفقا لخارطة الطريق فإنها كانت تقسم المجال للجانبين الفلسطيني والإسرائيلي للتفاوض في هذه القضايا المحورية (قضايا الحل النهائي) ولم تشأ أن تتبنى تصورا بعينه، وأوحت بالأمل في ألا تقدم إسرائيل على حل منفرد أحادي الجانب في هذه الموضوعات، لأنها لو أرادت الانحياز المطلق للحل الشاروني لكانت قد أوضحت ذلك بجلاء عند صياغتها ومن خلال التعليقات التي صدرت على لسان المسؤولين الأمريكيين والأوروبيين بعد الصدور. وننقل هنا حرفيا ما جاء في الخارطة متعلقا بهذه القضايا ضمن البنود المتعلقة بالمرحلة الثالثة (اتفاق الوضع الدائم وانهاء النزاع الاسرائيلي ــ الفلسطيني ٢٠٠٤م ـ ٢٠٠٥م وتقول الخارطة أيضا: (يتوصل الفريقان إلى اتفاق وضع نهائي وشامل ينهي النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني عام ٢٠٠٥م عن طريق تسوية يتم التفاوض حولها بين الفرقاء على أساس قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و١٣٩٧ التي تنهي الاحتلال الذي بدأ عام ١٩٦٧، وتتضمن حلا متفقا عليه، عادلا، ومنصفا، وواقعيا لقضية اللاجئين، وحلا تفاوضيا لوضع القدس يأخذ بعين الاعتبار الاهتمامات السياسية والدينية للجانبين، ويصون المصالح الدينية لليهود والمسيحيين والمسلمين على صعيد العالم، ويحقق رؤية دولتين، إسرائيل ودولة ذات سيادة، مستقلة، ديمقراطية، وقابلة للحياة هي فلسطين تعيشان جنبا إلى جنب في سلام وأمن) . فما الذي سارت عليه الأمور من الناحية الواقعية إلى أن وصلنا إلى لقاء واشنطن الذي ضم بوش وشارون وأحدث زلزالا سياسيا جديدا في المنطقة دون الدخول في تفاصيل الأحداث المتتالية منذ عام ٢٠٠٣م الذي كان قد شهد وحده تطورات مهمة على صعيد المسار الفلسطيني، يمكن القول إن شارون نجح في إبعاد عملية السلام عن مجال التفاوض وفرض تصوره الأحادي الجانب للإجهاز على القضية الفلسطينية. فقد عقدت قمة العقبة التي جمعت شارون و(أبو مازن) وبوش وانتهت إلى إقرار (أبو مازن) بيهودية الدولة الإسرائيلية ووقف الكفاح المسلح (المقاومة) دون الحصول على جدول زمني بإنهاء الاحتلال، وبالمقابل قبول شارون بإقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح دون تحديد لحدودها، ثم تعمد شارون ان يحرج (أبو مازن) بشدة من خلال استمرار التصعيد العسكري الاسرائيلي وعدم الإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين، وتوافق ذلك مع اندلاع صراع خفي بين (أبو مازن) وعرفات ورجاله انتهى بحصار الرجل ودفعه إلى الاستقالة، كما واصل شارون بعد ذلك خطته في تدمير البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية كان آخرها اشرافه مباشرة على اغتيال الشيخ أحمد ياسين، واستمرت موجة العنف المتبادل والرد المسلح من جانب فصائل المقاومة على أفعال شارون، بينما لم يحرك رئيس الوزراء الاسرائيلي ساكنا فيما يتعلق بالمستوطنات الكبرى في الضفة وواصل بناء الجدار العازل، كما ازداد الموقف الداخلي الفلسطيني توترا بعد الفشل في الاتفاق على أي هدنة مع الجانب الإسرائيلي، وبالاجمال تم شل الارادة الفلسطينية في التفاوض السياسي واغلاق باب المفاوضات من أساسه في وجهها، وكله تم تحت سمع وبصر ومراقبة الإدارة الأمريكية. وكان عام ٢٠٠٣م قد شهد عددا كبيرا من المبادرات للتسوية السياسية شغل بها شارون العالم للإيحاء بأنه يمضي في عملية السلام، بينما كلها لاستهلاك الوقت وإحباط الطرف الفلسطيني فيما يتعلق بالأمل في استئناف المفاوضات حتى وقف لخارطة الطريق ذاتها، فمن بين ١١ مشروعا كانت هناك ٩ مشروعات إسرائيلية وإثنان مشتركان لم يقدر لهما الحياة أيضا، ودارت كل المبادرات الإسرائيلية حول مشروع شارون للفصل أحادي الجانب الذي أعلنه بتفاصيله الخطيرة وبشكل واضح عند لقائه مع بوش بواشنطن، وبعضها كان من عدد من المحيطين به تتحدث عن مساحات مقترحة للدولة الفلسطينية أو إزالة بعض المستوطنات هنا أو هناك، ولكنها كلها كانت تصب في نفس التوجه الإستراتيجي لشارون ألا وهو الفصل أحادي الجانب ، وأما المشروعان المشتركان فقد كان أولهما ما قدمه كل من عامي إيلون رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق، وسري نسيبه مسؤول ملف القدس السابق ويتضمن مبادئ تقوم على أساس الانسحاب من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عليها بما في ذلك القدس، بشرط حل قضية اللاجئين فقط في إطار الدولة الفلسطينية. والثاني هو مبادرة جنيف بين يوسي بيلين وزير العدل الاسرائيلي السابق وياسر عبد ربه وزير الاعلام الفلسطيني السابق. وأهمية المبادرتين الأخيرتين هي في أنهما كانا بمثابة ضوء أخضر لشارون ليمضي قدما في خطته المتعلقة بالانسحاب من غزة وما حصل بمقتضاها على ضمانات من بوش، حيث التقط منهما ـ رغم أنهما لم يكونا ملزمين لا للجانب الفلسطيني ولا الاسرائيلي الرسميين، بل إن وثيقة جنيف لاقت معارضة رسمية فلسطينية ـ التقط إمكانية المضي قدما للإطاحة تماما بحق العودة دون مقابل وتعديل الحدود كما يحلو له والابقاء على المستوطنات دون تغيير مهم في الوضع. والأهم من ذلك تشجيعه على أن يحسم أمور الوضع النهائي دون أي مفاوضات مع الطرف الفلسطيني. في العرض الذي قدمه شارون على بوش وحصل على ضمانات بدعم منه، لا حديث على الاطلاق لإمكانية عودة أي عدد محدود من اللاجئين إلى داخل إسرائيل، بأن يتم استيعابهم في الدولة الفلسطينية المزمع اقامتها أن ارادوا، ولا حديث عن إلغاء المستوطنات الكبرى، بل الإبقاء عليها وربطها باسرائيل بعيدا عن أي سيادة فلسطينية منتظرة، ولا حديث عن تعديلات طفيفة في حدود ١٩٦٧م بل الصحيح هو ضم ما يقرب من نصف الضفة الغربية إلى إسرائيل ومن ثم فإن مستقبل القدس ذاتها أصبح في المجهول إن لم يعد صراحة في قبضة السيادة الاسرائيلية. هنا ذهب شارون إلى أقصى ما تريده إسرائيل ولم يترك شيئا للتفاوض عليه مع الجانب الفلسطيني، وخلاصة الأمر أنه يريد إقامة دولة يهودية بالحدود التي يرتضيها وحده لا وجود فيها لأي من اللاجئين مع نفس الدولة الفلسطينية التي تحدثت عنها خارطة الطريق!.

*كاتب عربي

الحياة حلوة

محمد بن سيف الرحبي ❖

■ أعتبر نفسي من مدمني الحياة، وأراها بعين محايدة، فهي جميلة رغم كل القبح الذي يعتري لمسات الجمال التي خلقها الله فيها، ولا أبتئس إذا صادفت ما يعكر صفو الماء، أعد ذلك من حكمة الخلق التي تستدعي وجود جميع الألوان، الأسود والأبيض وما بينهما من تدرجات، وما يتشكل من التقاء الألوان الرئيسية الثلاثة من جماليات يعرفها الفنانون التشكيليون ونعيشها على وقع خطو الأيام على ظهورنا ومن حوالينا، ومن كل صوب، سواء استطعنا أن ننقي سهامها، أو نستمتع بالتماعاتها، فهي لا مناص منها.

ومن البشر من يطلق الأنة بسرعة، ويتبرم في وجه الحياة، مجرد أنها لم تطاوعه، وينسى جماليات الوردة لبرى الشوك وحده في الغصن الأخضر، متشائما حتى من نفسه، مطلقا عبارات نارية في وجه الحياة، عادى نفسه من جملة المنحوسين الذين تحاربهم الحياة بشتى الطرق، والمثير للسخرية هذا الاعتقاد بأن الحياة لا هم لها إلا هذا البائس الذي وجد نفسه في مواجهة تحد طبيعي جدا مع كر الأيام على مسبحة عمره.

مهم (جدا) أن نعتقد بوجود جميع الألوان في أزياء الحياة التي نرتديها، اختيارا أو إجبارا، ولعل ذلك يساعدنا على تقليص الفجوة بيننا والحياة، فلا ننصدم إذا ما عاندتنا بلون أسود ذات حين من العمر، ولا بلون أحمر يجبرنا على الوقوف، إنها سنة الكون في أن تمرق المياه من تحت جسورنا شاء الجسر أم أبى، وعلينا فقط أن ننتظر اللون الأبيض كي تكتمل لوحة الحياة، لا نعتقد بهيمنة الحلكة على الكون لوحدها، وكذلك فان حركة السير تعلمنا أن اللون الأحمر الذي يجبرنا على الوقوف وتأجيل خطونا للأمام مهما كانت مواعيدنا يتبعه لون أخضر لا يفصله عنه إلا الأصفر الذي وضع فقط كاستراحة، أو استعداد للانطلاق مرة أخرى.

ان اجادة ثقافة التشاؤم تضيع جماليات الحياة، ولعله التفاؤل وحده القادر على اجتياز المطبات، المتشائم لا يملك رؤية لأنه أوقع نفسه في دائرة معتمة، أما نقيضه الآخر فان صمود جينات التفاؤل داخله تهيئ فرصة التفكير السليم لاجتياز المطب، فهي رحلة ممتعة، فذلك الطريق الذي يمتد دون منعطفات أو مطبات يبدو على درجة كبيرة من الملل، أشعر بالحياة أجمل كلما خالطها ذلك الإحساس بالنجاح الآتي بعد كبوة.

يشتكي من البنك الذي يخصم ثلث راتبه رغم أنه ذهب إليه لوحده.. ومن وكالة السيارات رغم (الفشرة) بالسيارة الجديدة للمباهاة بالرقم الأخضر.. ومن أصدقائه لأنهم ليسوا أوفياء فقد رفضوا تسليفه رغم أنه المشهد يتكرر كل شهر تقريبا..

وربما من نفسه، فقد شعر بالفشل، فطموحاته للاستمتاع بالحياة أكبر من امكانياته، بينما هذه الجميلة تستدعي توازنا بين الطموح والقناعة، حتما أن الميزان سيهوي بإحدى كفتيه لو لم يستطع الحفاظ على المؤشر الأوسط رافعا اتجاهه إلى السماء. أصر على أن الحياة حلوة، ومن يتهمني بأنني لم أعش ظروفه سأعطيه كشفا من البنك ووكالة السيارات والفواتير المتراكمة، لكنها حتما ستنتهي، فقط لا بد من الابتسامة لتبقى الحياة حلوة، والاقتراب من الناس بأجمل لغة في الكون.. الابتسامة.

❖ كاتب عماني

اليمن في عيون المهتمين بالقانون الدولي الإنساني

د/عباس علي زيارة ❖

■ كان شيئاً جميلاً ومريحاً للنفس والجسد عندما ألقى السيد برنار ففرلي رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في مصر كلمة في الاجتماع الثالث للخبراء العرب خلال الفترة من ١٧ إلى ١٩ فبراير ٢٠٠٤م.

أشار في كلمته إلى قرار مجلس الوزراء في اليمن بالموافقة على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية وإحالته إلى البرلمان لاتخاذ ما يلزم نحو التصديق عليه وإلى الدورة لأعضاء مجلس النواب اليمني في يناير ٢٠٠٤م حول النظام الأساسي للمحكمة الجنائية التي نظمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتعاون مع اللجنة الوطنية للقانون الدولي الإنساني ومجلس النواب وتطرق إلى الدراسة المقارنة بين نظام روما والدستور والأحكام التشريعية اليمنية التي أعدت بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وزاد من ارتياح وزهو الوفد اليمني المشارك في الاجتماع عندما تطرق المستشار شريف عتلم المنسق الإقليمي باللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى تلك الانجازات وتبعه مندوب الدول العربية يعرض للجهود الوطنية للقانون الدولي الإنساني وأكد ما قاله المستشار القانوني للأمين العام لجامعة الدول العربية بأن اليمن أول دولة عربية أنشئت فيها اللجنة الوطنية للقانون الدولي الإنساني، وكما سبق أن صدر قانون لحماية الشارة وتم مراجعة ومواءمة القوانين مع الالتزامات الدولية للاتفاقيات المنضمة إليها بلادنا وأن دورات عديدة عقدت للقضاة وأعضاء النيابة وكذا من خلال الإعلام يتم النشر والتوعية بمضامين ومفاهيم القانون الدولي الإنساني وجرى منه شكر وتقدير لليمن لإصدارها أول تشريع عربي نموذجي في مجال حماية الشارة كلما قيل أعطى صورة ناصعة وبهيه عن اليمن الذي ربما لا يعرف إلا القليل عنه في المحافل السياسية والمؤتمرات أنه يميز نفسه إقليمياً ودولياً بما حقق وانجز في مجال القانون الدولي الإنساني وحقوق المرأة وما أجمل أن تأتي الشهادات عن ذلك من المختصين والمهتمين من خارج اليمن ، لقد كبر اليمن في عيون الآخرين وزدنا سروراً واعتزازاً بهذا الوطن العزيز وخاصة في هذا الزمن الذي تزداد فيه الحاجة إلى تطبيق القانون الدولي الإنساني وصيانة الكرامة الإنسانية والحفاظ على حقوق الإنسان وكرامته أكثر مما مضى.

إن اليوم ورغم الجهد الذي تبذله بلادنا مع المنظمات المحلية والإقليمية والدولية للحفاظ على القانون الدولي الإنساني للبقاء ولو على القليل من الكرامة الإنسانية ، رغم كل هذا يظل مع الأسف الشديد النزاع المسلح هو الوسيله لحسم الخلاف وتحقيق النصر والغلبه.

ترى إلى متى ؟ والنهاية ماذا؟

ما قيمة المواثيق والمعاهدات وماذا يمكن أن تعمله الدول والجمعيات الوطنية واللجنة الدولية للصليب الأحمر والاتحاد الدولي للهلال والصليب الأحمر والحركة الدولية ، وكيف يمكن أن تؤثر المبادئ الإنسانية التي أقرها العالم إذ مازال صوت البندقية يعلو على صوت العقل والمنطق وما قيمة اتفاقية جنيف الأولى ١٨٦٢م والأربع الاتفاقيات ١٩٤٤ والبروتوكولين الإضافيين لعام ١٩٧٧م واتفاقية اشبيليا ١٩٩٩م ما قيمة كل هذا إذا ما زالت الدبابة تقتل الشيخ نور الحياة ليعيش في أمن وسلام ما قيمة هذا والصاروخ يدمر المسجد والمعبد والكنيسة ودار الأيتام والمرافق الصحية ، ما قيمة كل هذا إذا كان متطوعو الهلال الأحمر والصليب الأحمر يجرحون أو يقتلون وهم يؤدون واجبهم الإنساني من أجل تخفيف معاناة من شملتهم الحرب المجنونة التي تجري بدون رحمه ولا هواده.

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة».

* أمين عام الهلال الأحمر اليمني
مقرر اللجنة الوطنية لشؤون القانون الدولي الإنساني

بـــارقة أمل..

عبدالرحمن محمد المولد

■ (ينبغي أن يكون التعليم مثل الماء والهواء) تلك هي الكلمات التي بدأ بها عميد الأدب العربي وفلسفته التربوية بعد تسلمه وزارة المعارف المصرية ثم تحولت هذه الكلمات إلى نص دستوري في كثير من الأمصار العربية، لقد تحولت أحلامه المشوبة بالأحزان إلى ومضات تضيء طريق النهضة العربية.

إننا نحلم – ولسنا الأكثر يأسا – أحلاما مشوبة بالحزن حينا وبالأمل أحيانا كثيرة ، نحلم أن يتوقف هذا العبث في أروقة التعليم، وهانحن نقف على أول بارقة أمل مع وزير التربية في موقفه الجاد من الغش في الاختبارات إن جيلا (بقضه وقضيضه) يكاد يتكئ على شفا جرف هار يتخذ من الغش سبيلا للنجاح ونيل الدرجات العلمية.

أي وطن يمكن أن نتخيله في يد جيل يخون نفسه، إن الحرب المعلنة على الغش من قبل وزير التربية هي بارقة الأمل الأولى وعلى كل الشرفاء أن يقفوا مع هذه الدعوة المخلصة، ولنعلن جميعا حربا لاهوادة فيها على الغش وعلى كل المتواطئين أعداء الأوطان وأعداء الفضيلة.. ولعظيم خطر هذه الظاهرة ينبغي التوقف عندها مليا لدراستها دراسة علمية تخلص إلى الدواء الناجع..

ولعل الحرب المعلنة على الغش ليست بارقة الأمل اليتيمة التي تتجلى على محيا وزارة التربية والتعليم، لقد أبدى الوزير اهتماما غير معهود بدائرة التوجيه التربوي ، والذي أفضل تسميته (الطاقة التربوية الفاعلة).

إن التوجيه هو القضية التي سأتوقف عندها قليلا أضيء بعض أرجائها وسأبدأ بواقع التوجيه في ظرفه الراهن قانعا ببعض الأمثلة، إذ لامجال للاطالة في هذه الورقة عن ما آل إليه التعليم من احتضار ، فالأمر جلي لكل صاحب نظر ومؤلم لكل ذي انتماء إلى هذه الأمة وإلى هذا الوطن وحسبك أن تجد مسؤولا في التوجيه – رجلا كان أو امرأة – لايعلم من عمله أكثر مما يعلمه مستثمر في مدرسة أهلية هو مديرها فتسمعه يسخر من أنماط الاختبارات الموضوعية ومن الطرق الحديثة في التدريس ، ومسؤول التوجيه أمامه لا ينبس ببنت شفة.

هكذا تلتبس الاشياء عندما تصب من عين عكرة..!! فإذا تجاوزنا هذه الظاهرة إلى فلسفة التوجيه وما هو عليه اليوم عند الآخرين الأكثر جدية في العالم وجدنا الهوة تزداد اتساعا .. فما زلنا نخوض في المفهوم التقليدي للتوجيه التربوي والذي لايعدو أن يكون معركة بين الموجه والمعلم ، الطرف الخاسر فيها سلفا هو المعلم .. أهذا هو التوجيه..؟؟ أن يداهم الموجه المدارس أو المدرسة الموكلة إليه فجأة ويقتحم محراب المعلم يرصد الأخطاء ويقتنص الهفوات ثم يكتب تقريره ولايعود إلا بعد شهور وقد لايعود.

لقد ظل يدور المفهوم التقليدي للتوجيه في نطاق المراقبة ، والتفتيش والبحث عن عيوب الأداء وممارسة الثواب والعقاب ، ثم مر هذا المفهوم بأطوار حتى صار يبني علاقات عمل مشتركة في إطار من العلاقات الانسانية ويهدف إلى تنمية المعلمين والعملية التعليمية بكامل عناصرها من حيث تنمية المعلمين وتطوير أدائهم وتحسين المناهج والوسائل وتطوير البيئة المدرسية، وهذا المفهوم يقتضي تطبيق آلية جديدة تتجاوز سلبيات التفتيش التربوي إلى أفق الاشراف التربوي وهو التسمية المقترحة حديثا وفق هذا المفهوم، لمواجهة المعوقات التقليدية مثل انعدام التواصل الفاعل بين (المشرف التربوي) و(المعلم) وكذلك إثقال كاهل المشرف التربوي بعدد كبير من المعلمين ، وغياب الامكانات المادية التي تسهل تنقل المشرف بين المدارس ، وضيق الوقت المتاح لانجاز المهام الاشرافية بصورة أفضل.

لكن الأفضل يبقى دوما رهن التنظير. وإلا لماذا يندر المشرف التربوي المتفرد ثقافة وعلما؟؟ ربما لأننا لم نؤهل مشرفا ، ولانملك مؤسسة اكاديمية لإعداد وتأهيل المشرفين التربويين..؟!

إن الاشراف التربوي لايكون بالتعيين القائم على تراكم خبرات المعلم ، ولا يكون بتجاوز اختبار شكلي أو نحو ذلك.. إن الاشراف التربوي علم يدرس نظريا ويرافقه تدريب ميداني على يد اختصاصيين ، يمنح بعد ذلك المتدرب إجازة علمية في هذا العلم ، ثم يغذى بدورات ترقيه ، تقف به على كل جديد في هذا العلم.

وهذا يحملنا على إرجاع النظر في:

١- آلية العمل الاشرافي من حيث الأهداف ، والهيكل وبرامج العمل ، والأساليب والانشطة المختلفة كالنشرات والدوريات وورش العمل وإعداد الأدلة ، وتحديد المهام ، وتهيئة مكاتب المشرفين ، والمكتبات ، والمرتبات وبدلات التنقل، وعلاقة الاشراف التربوي بالاعلام التربوي، وبدائرة الوسائل التعليمية ، وعمليات القياس والتقويم العلمية.

٢- تأهيل الادارة التربوية وقيادات الاشراف التربوي ، والمشرف العامل في الميدان.

٣- النظر في قواعد ترشيح واختيار المشرف التربوي ثم أن يحمل هذا كله محمل الجد ومحمل التنفيذ.

حضرموت .. وتظاهرة ثقافية رائعة

بدر بن عقيل

□ حضرموت هي الثقافة والتاريخ .. هكذا يؤكد مرارا وتكرارا فخامة الاخ /علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية ، ومن منطلق ادراكه العميق بعطاء وإبداع هذه المحافظة ، ولهذا وفي حاضر منجز اعادة الوحدة اليمنية المباركة، وفي عهده الميمون حظي الكثير من الرموز المبدعين في مختلف اشكال الثقافة والفنون والتاريخ بالدعم والاهتمام والتكريم بالأوسمة الرفيعة تقديرا لأدوارهم واسهاماتهم في مسار الثقافة اليمنية ، وفي مقدمة هؤلاء كان كل من الأديب والشاعر والكاتب المسرحي الراحل/ علي أحمد باكثير ، والشاعر الغنائي الراحل/ حسين أبوبكر المحضار.

وهاهي محافظة حضرموت وعلى مدار أيام اسبوع كامل استضافت فعاليات مهرجان الأدب اليمني الثالث في عدد من مديرياتها (المكلا، الشحر، غيل باوزير، دوعن، سيئون) في تظاهرة ثقافية وأدبية وفكرية وفنية رائعة هي الأولى من نوعها في حضرموت..!!

تظاهرة مميزة شارك في احيائها ، ونجاحها ، وقطف ثمارها حوالي (١٠٠) أديب يمني وخمسة عشر مفكراً وأديباً عربياً ، ليضيفوا بهذا النشاط زخما جديدا ومتألقا إلى جملة الحراك النهضوي والتنموي والاستثماري الذي تشهده حضرموت الخير في زمن بشير الخير وابن اليمن البار الرئيس/ علي عبدالله صالح حفظه الله، خاصة وأن وطننا اليمني الغالي على أعتاب مرحلة مهمة من البناء والتحديث.

ولقد عبر الأدباء المشاركون في هذه التظاهرة وبصور من الوفاء والعرفان أن الاخ الرئيس جعل بيتنا الكبير اليمن كله من صعدة إلى المهرة ، وبعد أن أزلنا وإلى الابد سنوات التباعد، والشتات، والتشطير، ثم بدأ احساسنا ومسؤولياتنا تكبر بضرورة أن يواكب الأدب المزدهر ومايشهده الوطن من تحولات، ومكاسب على مختلف الاصعدة.

مؤكدين أن حضورهم إلى حضرموت يأتي – أيضا– لمكانتها وعمقها التراثي والتاريخي ، وحب ابنائها للأدب والتمسك بالموروث اليمني الأصيل.

ولاشك: أن أجمل مضامين ومعاني ودلالات مهرجان الأدب اليمني الثالث في حضرموت أن يأتي بمناسبة صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م.. لتشكل من خلاله الحواضر اليمنية لوحة جميلة للواقع والمشهد الثقافي وحراكه المتعدد الوجوه ، وليكتب الجميع من إشراقاته اعذب وأروع قصائد الحب لليمن الغالي.

الخلاصة:

يمكن القول ومن خلال زيارة الأدباء المشاركين في هذه التظاهرة إلى (دوعن) وبالذات إلى اطلال (دمون) قد لاح لهم ومن على قمة جبل مدينة (الهجرين) الشاعر العربي اليمني الفذ /امرؤ القيس/ وهو يقول لهم بملء القلب والفم:

تطاول الليل علينا دمون
دمون إنا معشر يمانون
وأننا لأهلنا لمحبون

وأعتقد أن قول /امرئ القيس/ هذا هو أجمل وأصدق شعار .. يمكن أن يكون تتويجا لمهرجان الأدب اليمني الثالث ، وهو بالفعل لسان حال حضرموت للترحيب والحب لكل المشاركين..

رأيه بالكاريكاتير
alradhi2@hotmail.com
الرضي